

النظام الكهنوتي في حضارة بلاد الرافدين

The priestly system in Mesopotamian civilization

كيدار عبد الوهاب^{1*}، أوكيل صبيحة²، بقّة بلخير³

¹ جامعة عمارثليجي الاغواط (الجزائر)، a.kidar@lagh-univ.dz

² جامعة عمارثليجي الاغواط (الجزائر)، s.oukil@lagh-univ.dz

³ جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، faridb08@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2025/12/01 تاريخ القبول: 2025/12/29 تاريخ النشر: 2026/01/01

الملخص

عرف رجال الدين بمسميات كثيرة في منطقة الشرق الأدنى القديم مثل الكهنة ورجال الشعائر، خادم المعبد أو خادم الآله، ونظرا لأن معظم الشواهد لا تتضمن توضيحا لوظائفهم الدينية، فمن الصعب فهمها وتحديد دلالاتها بشكل دقيق وافي. ولذلك نجد في التصورات الحديثة أنه غالبا ما يوصف كل موظفي المعابد الذين لم يكن لهم سوى دور ثانوي مساعد في الشعائر الدينية بأنهم كهان أيضا. وكانت الكلمة العامة الدالة على الكاهن (Sanga) في السومرية و(Sangu) بالأكديّة، وقد استخدمت في بلاد آشور كلقب ملكي أيضا، وكان مجموع الكهان العاملين في المعابد الكبرى يعدّون من الموظفين فيها، فكان من مهام الكهنة الدينية الإشراف على خدمة الآلهة، وعلى إقامة الصلوات والطقوس من واجبات مجموعة من الكهان والكاهنات، وكان لكل واحد من هؤلاء لقب حسب المهمة التي يزاولها في المعبد. لكن هل اقتصر دور الكاهن على الجوانب الدينية فقط؟ أم تعدتها إلى وظائف أخرى، وكيف كانت بداية نشأة هذا التنظيم؟

الكلمات المفتاحية: بلاد الرافدين، المعتقد، الكهنة، سومر، بابل، آشور، المعبد.

Abstract:

The ancient Near East knew many terms for the religious figures who oversaw the performance of rituals. Since most archaeological evidence does not clearly define their religious functions, it is difficult to understand and precisely determine their meanings. Therefore, it can be said that all temple staff who had only a secondary role in performing religious rites were often described as priests with their own ranks. In Assyria, this term was also used as a royal title. All the priests working in the major temples were considered temple employees. The duties of priests generally included supervising the service of the gods and temples, leading prayers, and performing various rituals. Each priest had a title according to his specific role in the temple.

Keywords: Mesopotamia, priests, Sumer, Babylon, Assyria, temple.

مقدمة:

كانت المعابد من أولى الأبنية العامة التي شيدها العراقيون القدماء للاجتماع فيها وممارسة الشعائر الدينية بعد أن كان سكان العراق القدامى يعبدون آلهتهم في منازلهم الخاصة، فكان ذا مكانة مقدسة في المجتمع لأنه ارتبط بالمعتقدات الدينية وخدمة الدين، ولأنه مكان عبادة الإله وإقامة الطقوس والشعائر الخاصة به كالاحتفالات الدينية، لذلك اعتبر المعبد أحد أهم العناصر المعمارية في حضارة وادي الرافدين، وشكّل مركز الحياة الحضرية فيها ومحور التجمعات السكانية. ويعود ظهوره باعتباره مؤسسة دينية، بل وأول مؤسسة اجتماعية عامة في شمال البلاد مع بداية الاستيطان في القسم الجنوبي لوادي الرافدين في حدود 5000 سنة قبل الميلاد، في عصر تل حلف، وكثرت المعابد في زمن حضارة العبيد حيث ظهرت نماذج كثيرة من المعابد، وظهرت أولى الزيقورات في الوركاء، ومما يلاحظ في المعابد بوجه عام أنها متشابهة منذ أول ظهورها، وهذا يدل بوجه عام على استمرار حضارة العراق القديم وتدرجها في النمو والتطور بدون فترات، على أن المعبد قد استمر في التطور إلى أن أخذ صورته كاملة حوالي 3000 ق.م.

وأقدم معبد تم استكشافه بالكامل كان في أريدو في الفترة ما بين الألف الخامس والألف الثاني قبل الميلاد، وقد أبرز العنصر المركزي للمعبد المثالي وهو الخلوة أو الحرم المقدس مع مذبح في مشكاة، إضافة إلى طاولة مركزية لتقديم النذور. وكان يسهر على خدمة المعبد

مجموعة من الكهنة باختلاف رتبهم ومهامهم. لذلك ونظرا لأهمية رجال الدين وجب التعرف على كل ما تعلق بهم نظرا لدورهم المحوري في خدمة الدين والحفاظ عليه وعلى استمراريته

1- نشأة التنظيم الكهنوتي:

إن قيام تنظيم الكهنة مرتبط بنشوء المعتقدات الدينية عن الحياة والكون والخلق والموت، فقد رسم تصور العراقيين، تبعا لظروفهم المادية المختلفة أفكارا خاصة في الديانة والمعتقدات، شأنهم في ذلك مثل بقية الشعوب القديمة. وقد كان ظهور الأبنية الدينية (المعبد) منذ فترات مبكرة من تاريخ الحضارة العراقية، دليلا على نضج أفكارهم الدينية وتوضيح منهجها. أما الكهنة فكانوا على أوثق ارتباط بالمعبد، فهم الوسيلة البشرية لتحقيق الغرض الديني من المعابد، لذا يمكننا، اعتمادا على هذا الأساس، الافتراض بأن منشأ الكهنة مرتبط بمنشأ المعبد⁽¹⁾.

فسكان العراق القديم قبل ظهور المعبد؛ أي في الفترة التي سبقت زمن نضج الحضارة كانوا يتولون شؤون عبادتهم بأنفسهم، فيقيمون صور الآلهة في بيوتهم، ويطعمونها من طعامهم ويسألونها بأنفسهم بدون شفيع أو واسطة، ومما يجدر ذكره أنه لم يكن في الأزمان القديمة فارق واضح بين الموظفين المدنيين والدينيين⁽²⁾، وبمرور الزمن، وبحكم التوسع الذي أصاب المؤسسات الدينية والديوية، انفصلت السلطة الديوية عن السلطة الدينية، وأصبح لكل منهما نظام ومراتب وخدمات خاصة. وربما يرجع سبب ذلك إلى أن الارتباط بالشؤون الدينية كان معوقا نشاطات الزعيم أو المحاكم الديوية، بالإضافة إلى ما تمليه مستلزمات التطور التدريجي للمجتمع.

فقد ظهرت في المجتمع العراقي القديم، منذ الفترات التاريخية المبكرة، طبقة من الرجال المتنفيين، الذين حصروا في أيديهم السلطتين الدينية والديوية. وهم في أغلب الظن من رؤساء القبائل في فترة ما بعد تفسخ نظام المشاعية البدائية وتبلور نظام الملكية الفردية، الذي استلزم وجود زعيم للقبيلة يتمكن من محاربة القبائل الأخرى لتوسيع ممتلكات قبيلته

(1) - رضا الهاشمي، النظام الكهنوتي في العراق القديم، مجلة كلية الآداب العراقية، العدد 14، 1970-1971، ص 264.

(2) - طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة تاريخ العراق القديم، ج2، ط2، دار المعلمين العالمية، بغداد، 1955، ص 265، 266.

وكذا توسيع حكمه. وكان للمنافع المادية الكبيرة التي يدرها لقب الزعيم الروحي الأعلى للقبيلة، سببا لسعي الزعيم الدينوي للقبيلة، تبوء العرش الديني فيها أيضا. وحاول الأمراء و الملوك القدماء أن يعطوا تفسيراً دينياً لهذا الجمع بين السلطتين أو الزعامتين، فذكروا أنهم اختيروا من قبل الآلهة نفسها لحكم البشر، فهم بذلك ممثلو الآلهة على الأرض، والوسطاء بينها وبين الناس، وهذا ما أوروده فعلا حمورابي في مقدمة قانونه الشهير، كما ذكره سرجون الاكدي في أسطورة مولدة، التي برر بها ارتقاءه العرش⁽³⁾.

فكان الكاهن الأعظم اين (En) يجمع في شخصه السلطتين الدينية والزمنية. هذا قبل أن تبدأ عملية الانفصال التدريجي بين الوظيفتين في فترة ما من عصر فجر السلالات بظهور الحاكم الزمني المفوض من إله المدينة لإدارة شؤون دولته الأرضية. وأطلق على هذا الحاكم انسي (Ensi)، أعقبه ظهور الملك لوكال (Lugal) عندما كان يتسنى لحاكم المدينة بسط نفوذه وإخضاع حكام مدن أخرى لسلطانه. وهكذا نجد أن المدينة السومرية تنمو ليس حول قصر أو قلعة، إنما حول (ضريح) أو مرقد. وفي كل الأحوال كان المعبد هو المحور الذي



الصورة رقم (01): تماثيل مجسمة سومرية تمثل التدرج الكهنوتي

خزعل الماجدي، متون سومر، الكتاب الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن،

1998، ص 277.

تدور حوله النشاطات الاقتصادية والاجتماعية⁽⁴⁾.

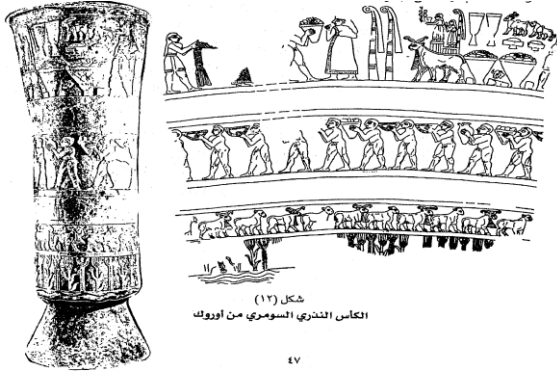
والمخلفات المادية المختلفة التي تكشف عنها التنقيبات الأثرية شاهدة على ذلك التطور، وعلى قدم هذا التنظيم، إذ خلفت معابد العراقيين القدماء مئات التماثيل التي تثبت قدم الظاهرة الكهنوتية في بلاد الرافدين، منها تماثيل حجرية من عهد ميسيليم، وهي تماثيل

(3)- رضا الهاشمي، المرجع السابق، ص 260-261.

(4)- عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين - ميزوبوتاميا - دار الثقافة، دمشق، 2004، ص 59.

تمثل التدرج الكهنوتي-تمائيل نذرية- الذي يبدأ من صغار الكهنة حتى يصل إلى الكاهن الأكبر فالأمراء. (ينظر الصورة رقم 01)

ويعتبر الإناء النذري (ينظر الصورة رقم 02) المكتشف بالوركاء في النصف الثاني من الألف الرابع ق.م أولى الأشكال النموذجية عن النحت البارز، وتوضح مضامين موضوعاته المنحوتة العلاقة بين المزارعين والآلهة أو بين المزارعين والكهنة⁽⁵⁾، وقد نحت هذا الإناء في أربعة صفوف تحمل صوراً من الطقوس الدينية السومرية، ففي أعلاه نجد صورة لحزمتين من القصب ترمزان لعبادة الربة آن-نين ربة السماء تحددان مدخل المعبد حيث نجد صفاً ممتداً من حاملي القرايين، وليسوا غير نفر من رجال عراة -الكهنة- يحملون سلالاً مائياً



الصورة رقم (02): إناء نذري سومري يحمل صور الطقوس الدينية

بالفاكهة والخضر يتقدمهم رجل ذو شأن، لعله رئيس المدينة أو كبير الكهنة، وقد خفت لاستقباله من داخل المعبد سيدة قد تكون الربة إنين نفسها أو كبيرة الكاهنات، ومن ورائها الهبات والقرايين وصور المذبح على شكل مدرج يحمله كبشان وقد اعتلاه شخصان أحدهما وراء الآخر، وفي أسفل الوعاء جموع من الحيوانات الأليفة تسير على حافة حقل معشب، ويمكن القول أن هذا الوعاء يرشدنا بالأسلوب الأول الذي اتخذته الإنسان القديم في التقرب إلى الآلهة بقرايين من ثمار الأرض ونتاج الهائم، وأن القائمين على هذه الطقوس هم الكهنة⁽⁶⁾.

2- شروط وصفات الكهنة:

(5) - نخبه من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج4، دار الحرية، بغداد، 1985، ص 190. ص 18.

(6) - ثروت عكاشة، الفن العراقي - سومر وبابل وأشور -، مطبعة فينيقيا، بيروت، (د.ت)، ص 118.

كان اختيار أفراد هذه الطبقة يخضع لاختبار دقيق⁽⁷⁾، ففي غالب الأمر كان المنصب وراثيا، إذ كانت بعض الأصناف الكهنوتية محصورة في طبقات خاصة من المجتمع، كما هو الحال في منصب الأنتوم الكاهنة العليا، والناديتوم الكاهنة، حيث كان هذان المركزان مقتصرين في الغالب بالعائلة المالكة⁽⁸⁾. وكانت بعض الوظائف الأخرى في المعبد بما فيها حتى كناس الفناء أو البواب محل بيع وشراء، وذلك منذ العهد البابلي القديم، في حين أن هذه الطريقة كانت أقل شيوعا في الفترات السابقة ولم تزدهر كثيرا رغم أنها استمرت لغاية نهاية حضارة بلاد الرافدين⁽⁹⁾.

إن الانخراط في سلك الكهان وخدمة المعابد تستدعي من المتقدم أن يكون ذا ولادة شرعية وصحيح البدن⁽¹⁰⁾. وحسب إحدى النصوص المسمارية: "لا يستطيع أحد أن يكون قيما على مراسيم (شمش وأدد) وهما آله الكهان من كان أبوه غير طاهر، وكان غير كامل الأطراف، وغير سليم العينين أو الأسنان أو الأصابع، أو من كان يبدو عليه المرض، أو به دما مل" ⁽¹¹⁾.

أما عن الملابس الخاصة والمستخدمة من قبل هؤلاء الكهان فلا نعرف الكثير عنها⁽¹²⁾، ويبدو أن التجرد من الملابس تماما كان شرطا من شروط ممارسة الطقوس أمام المعبود، بل إنه عثر في خفاجي على تماثيل تمثل الكهنة في حالة عرى تام مما يؤكد هذه الفكرة⁽¹³⁾. ولم يكن الساميون يظهرون بنفس المظهر، فقد كانوا يضعون على أجسادهم ألبسة مصنوعة من الكتان تمتاز بألوان مختلفة، فنعرف مثلا أن الملابس الحمراء كانت توضع على أجسامهم أثناء الاحتفالات الخاصة بالتكفير عن الذنوب، كذلك فإن بعض

(7) - نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم - حضارات الشرق القديم -، ج6، دار المعارف، لبنان، 1967، ص 171.

(8) - رضا الهاشمي، المرجع السابق، ص 291.

(9) - عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 98.

(10) - جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، تر: وليد الجادر، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 2005، ص 139.

(11) - عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 98.

(12) - جان بوتيرو، المرجع السابق، ص 140.

(13) - نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 168.

الكهان كانوا يضعون فوق رؤوسهم وفي مناسبات خاصة نوعا من القلنسوة الهرمية والمدمبة من الأعلى. وكان هؤلاء يبدون حليقي الرؤوس والوجوه، وتعكس لنا بعض المنحوتات الجدارية الأشورية استخدامهم أقنعة على وجوههم تصور حيوانات⁽¹⁴⁾.

وكانت بعض الأعمال الكهنوتية بحاجة إلى ممارسة وتدريب طويلين، مثل ذلك أعمال الفأل والتنجيم، أو العزف على الآلات الموسيقية⁽¹⁵⁾، إذ كانوا يحضرون لمزاولة المنصب المعين لهم بعد أن يدرسوا لمدة طويلة نسبيا في المعبد الذي يمثل مركزا ثقافيا رئيسيا في المدينة⁽¹⁶⁾، فكان الشخص الذي يُرى لمركز كهنوتي معين أن يتعلم الكتابة المسمارية، واللغة السومرية باعتبارها لغة الديانة، وكان ذلك بحد ذاته عملية شاقة، وربما كان الشخص الذي بصدها بحاجة إلى سنوات لإتقان ذلك. فكان مثلا موسيقيو المعبد يقضون مدة ثلاث سنوات في التدريب قبل استلام مهامهم، ومن المحتمل أن الدرجات الكهنوتية العليا كانت بحاجة إلى مدة أطول في التعليم والتدريب⁽¹⁷⁾. أما العرافون والمنجمون فوجب أن يكونوا أولا على درجة متقدمة من الذكاء، ذلك أنهم كان عليهم يقنعوا العامة بصدق ما يدلون به، وكانت عليهم دراسة الظواهر ثم تفسير الحادث والقياس على النظائر والاستنباط الصحيح⁽¹⁸⁾.

وكان الكاهن يتلقى راتبا نظير عمله، ذلك أنه كان على كل فرد من أفراد هذه المجموعة الكهنوتية أن يعتمد في معيشتة اليومية على نشاطه الخاص، والذي يرتبط بعائدات وواردات المعبد الغني جدا من الناحية المادية⁽¹⁹⁾.

وكان عدد الكهنة في المعبد يعتمد على أهمية المدينة وموقعها السياسي والاقتصادي والديني، كما كان العدد يختلف من معبد إلى آخر استنادا إلى أهمية الإله ومركزه الكوني، فقد ورد في قائمة لمعبد الإله باو (Bau) في عهد اوركا جينا حاكم مدينة لجش (2600 ق.م) ذكر 836 شخصا في خدمة المعبد، كما كان عدد العاملين في معبد مردوخ في بابل في العهد

(14) - جان بوتيرو، المرجع السابق، ص 140.

(15) - رضا الهاشمي، المرجع السابق، ص 292.

(16) - جان بوتيرو، المرجع السابق، ص 139.

(17) - رضا الهاشمي، المرجع السابق، ص 292.

(18) - نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 171.

(19) - جان بوتيرو، المرجع السابق، ص 139.

البابلي الحديث يبلغ عدة آلاف، وهذه الأرقام لا تخص الكهنة فقط، بل جميع العاملين بخدمة المعبد، ومنهم الموظفين والإداريين والحراس والحرفيين والعبيد مضافا إليهم الكهنة⁽²⁰⁾.

3- أصناف الكهنة:

من الصعوبة بمكان تحديد مراتب السلك الكهنوتي (ينظر المخطط رقم 01) بشكل مطرد لجميع الفترات الحضارية، ويعود ذلك لسببين، أولهما أن النظام الكهنوتي كجزء من نظام المعتقدات الدينية المقدسة كان محاطا بهالة من التستر والسرية، خاصة ما يتعلق بالطقوس الدينية، وأعمال السحر وطرده الأرواح الشريرة، لذا لم تصل أيدي الباحثين معلومات تفصيلية عن مراكزهم ودرجاتهم وواجباتهم، إنما تم التعرف على ذلك من خلال دراسة المعلومات المتفرقة التي تشير إلى مراكزهم ونشاطات البعض منهم بشكل عرضي في النصوص القديمة، وعليه فإن أغلب المعلومات المتوفرة لا تزال قاصرة على إيضاح جوانب هذا النظام على الوجه الأكمل، ويرجع السبب الثاني لهذا الغموض الذي يكتنف معرفتنا، لاختلاف تسميات الوظائف الكهنوتية من فترة لأخرى، كما أن الاختلاط بين الواجبين الديني والديني للملوك والأمراء أو الحكام الأوائل يمنع التمييز الواضح للمراتب الكهنوتية، إلا أنه في الفترات الحضارية اللاحقة، وبعد أن تبلورت أنظمة المجتمع وقوانينه وأحكامه تحدد لنا على ضوءها نظام معين للسلك الكهنوتي⁽²¹⁾.

أ- كهنة الرتب العليا:

أ-1- كهنة الدرجة الأولى (الكهنة الرؤساء):

- الكاهن الأكبر (En): مما هو معروف عن اللغة السومرية أنها لا تفرق بين المذكر والمؤنث، لذلك فإن كلمة اين السومرية المجردة تعني كاهنا أو كاهنة، أما اللغة الأكديّة التي كانت تفرق بين الجنسين فقد لفظت الكلمة اينوم ان كان المقصود بها الكاهن واينتوم إذا كان المقصود بها الكاهنة، وكاهنة الاينتوم تكتب بالعلامتين (نن ودينكر) (Nin-Dingir)، أما الكاهن فيكتب دائما بالعلامة اين⁽²²⁾. ويأتي في مقدمة كهنة المعبد الكاهن الأعظم، وتوازيه في المرتبة الكاهنة

(20) - رضا الهاشمي، المرجع السابق، ص 293.

(21) - رضا الهاشمي، المرجع السابق، ص 268.

(22) - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ج 1، ص 190.

العظمى، ويبدو أن منصب الكاهن الأعظم في العصر الشبّيه بالكتابي (في حدود 3500-2800 ق.م) كان مزيجاً من السلطتين الدينية والدنيوية، وأن السلطة الدينية انفصلت بعد ظهور الحاكم أو الأمير (في السومرية الانسي Ensi)⁽²³⁾.

وكان شاغل هذا المركز يختار من الأسر الملكية أو الأسر ذات المكانة الاجتماعية الكبيرة، وتمتع الكاهن الأكبر بسلطات كبيرة فكان في بداية التاريخ العراقي القديم يجلس على عرش فخم يصنع خصيصاً له، ويبدو أن هذا العرش كان لا يختلف عن العرش الذي يجلس عليه الحاكم خلال الألف الرابع والنصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، وذلك عندما كان الحكم بيد السلطة الدينية، حيث تلقب حاكم دولة المدينة بلقب الإين كذلك، ومما يؤيد ذلك التسمية التي أطلقت على غطاء رأس كاهن الأينوم كانت تعني تاجاً⁽²⁴⁾.

- الكاهنة العظمى (Entu): كاهنة الأينتوم التي كان اسمها يكتب بالعلامتين (نن ودينكر) كانت تسمى خلال العصر البابلي القديم (اوكلباتوم) أو (كوبابتوم)، والسبب في ذلك يعود إلى أن كاهنة الاوكلباتوم هي من نفس درجة كاهنة الأينتوم، ولذلك كتبت بنفس العلامات المسمارية، وهذا ما دفع البعض للقول بأن كاهنة الاوكلباتوم ادعت بشكل من الأشكال الألوهية لنفسها، ولذلك كتبت اسمها بالعلامتين (نن ودينكر) اللتين تعنيان السيدة التي هي آلهة⁽²⁵⁾.

وتذكر النصوص المسمارية اسمها دائماً قبل اسم الكاهن الأكبر حتى ولو كانت زوجة له، وأثناء العصر السومري كان مسموحاً لمن تشغل هذه الوظيفة الكهنوتية الزواج وإنجاب الأطفال، ومنذ عهد حمورابي حرم على شاغلات هذه الوظيفة الزواج، وانطبق هذا الأمر على كاهن الأين، وكان من يقرب من الجنس منهم يعاقب بالحرق بالنار⁽²⁶⁾، ويعتقد أنه كان يسمح لها بالزواج عندما تُتم سنوات الخدمة الطويلة في المعبد، والتي عندها تكون الكاهنة "اينتو"

(23) - علي فاضل عبد الواحد، من سومر إلى التوراة، ط2، سبيل للنشر، مصر، 1996، ص ص 79-81.

(24) - أحمد أمين سليم، دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم - العراق، إيران -، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص 229.

(25) - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ج1، ص 190-191.

(26) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 337.

قد بلغت سن اليأس أي عدم المقدرة على إنجاب الأطفال⁽²⁷⁾. ويتم اختيار كاهنة الاينوم بطريق استخارة الفأل، ويتم تعيينهم بإرادة ملكية كما هي الحال بالنسبة لكبير الكهنة، ومن أهم واجباتها القيام بدور العروسة في عملية الزواج المقدس⁽²⁸⁾.

- ماخو: وهو الكاهن الأعلى أو الكبير، وهو كاهن يتم ترشيحه وسط شروط خاصة جدا، ويعد تكريسه حدثا كبيرا، ولكل واحد من آلهة المدن السومرية كاهن أعلى خاص⁽²⁹⁾. وهو الذي يتولى المهام الإدارية والتنظيمية للمعبد⁽³⁰⁾.

- شائكو (رئيس الكهنة): وهذا النوع من الكهنة يوازي في مرتبته مرتبة الكهنة من نوع الاينوم، والفرق بين النوعين هو أن الاينوم يتولى بالدرجة الأولى المهام الدينية للمعبد، بينما الشائكو يتولى المهام الإدارية والتنظيمية، ولذلك فإنه خدمة حاجات المعبد، وله الحق أن يجلس مع القضاة أثناء الاجتماعات التي يتدارسون فيها شؤون القضاء⁽³¹⁾.

- أوريكالو (Lurigallu) (الحرس): وهو بواب المعبد أو الحارس يفتح الأبواب صباحا بعد أن يباشر طقوسا ويتلو صلوات معينة، وهو الذي يضع الملك بين يديه في عيد رأس السنة. شاراه الملك قبل دخول المعبد حين يدخل للتكفير من آثامه فيلطمه على خده، ويعرك أذنيه ويركع الملك كأنما يقوم بالاعتراف السلبي، وعندئذ يمنحه الكاهن البواب بركات المعبود، ويعيد إليه شاراه الملكية ويلطمه على خده مرة أخرى بعنف لتعريفه بمركز المعبود، فإذا دمعت عينا الملك فذلك فال طيب بأن العام الجديد سيكون خيرا وبركة، ثم يشتركان معا في إيقاد النار، وفي تلاوة الأدعية الدينية⁽³²⁾.

(27) - علي فاضل عبد الواحد، المرجع السابق، ص 80.

(28) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 337.

(29) - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 272.

(30) - سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، دار المنشورات الثقافية، العراق، 1988، ص 44.

(31) - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ج 1، ص 193-194.

(32) - Edouard Dhorme, *Les Religions De Babylonie Et D'Assyrie*, 2eme ed, PUF, paris, 1949. P 204-205.

أ-2- كهنة الدرجة الخاصة (كهنة طقوس الأسرار المقدسة):

- بارو (Baru) (العراف): استخدم السومريون عدة تعابير للدلالة على العراف منها "إزو" بمعنى الذي يعرف أي العراف⁽³³⁾، وهي تعني الرائي، ويمكن أن يدل على البؤرة؛ أي الذي لديه حس بؤري أو بؤري يرى ما لا يراه غيره، وهناك من رأى بأنها تدل على البارع، وتدل على البارئ وتدل على من يبرئ الأمراض من الجسد، فقد ارتبط دوره بالطب، فكان يقوم بتشخيص وتوقع المرض وذلك بمراقبة الظواهر العامة والأحشاء خاصة الكبد والولادات المشوهة والحيوانات والطيور والأحلام والنجوم⁽³⁴⁾.

- شائيلو (Shailu) (مفسر الأحلام): وهو قارئ الفأل ومفسر الأحلام⁽³⁵⁾، وتشير النصوص أن النساء بصورة خاصة يستشن العرافات (الشائيلتو) للتثبت من رغبة الآلهة، ويظهر أن السائلة كانت تعمل خارج الدين الرسمي المتمركز في المعبد، وتشير كلمة (شائيلتو) إلى السؤال أي الذي يُسأل⁽³⁶⁾.

- زاكيكو: وهم الكهنة المسؤولين على أداء طقوس الأسرار الخاصة⁽³⁷⁾.

أ-3- كهنة الدرجة الثانية (الكهنة المختصون في الطقوس العامة):

- أشيبو (Asipu) (المطهر أو المعزم): أشيبو بالأكدية⁽³⁸⁾، والماشماشو (Mashmashu) في السومرية⁽³⁹⁾، وهو المعزم وطارد الأرواح الشريرة، ويأخذ المعزم دور الطبيب النفسي الذي يلزم دور الطبيب، وكان المعزم يسمى نفسه رجل الإله أنكي لأن الإله أنكي هو إله السحر، ولذلك يستعين المعزم به لطرد الأرواح الشريرة والتصدي للسحر الأسود⁽⁴⁰⁾، وأصبح فيما بعد يعمل بفضل الإله مردوخ حين بسطت بابل نفوذها، ولكي يبطل كاهن الأشيبو مفعول

(33) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 331.

(34) - خزعل الماجدي، *ميثولوجيا الخلود*، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص 108-109.

(35) - رضا الهاشمي، المرجع السابق، ص 274.

(36) - خزعل الماجدي، *بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين)*، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع،

لبنان، 1998، ص 366.

(37) - خزعل الماجدي، (متون..)، المرجع السابق، ص 274.

(38) - نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 170.

(39) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 229.

(40) - خزعل الماجدي، (متون..)، المرجع السابق، ص 273.

الشياطين والأرواح الشريرة يقوم بأداء مجموعة من الطقوس وتلاوة التعاويذ⁽⁴¹⁾ الموجهة لمساعدة حاملها وحمايته: "إنه ذلك الشيطان الذي اقترب من بيتي يخيفني وأتاني فراشي، إنه يمزقني ويرسل عليّ الكابوس في الليل فعسى أن يسلموه إلى الإله حارس بوابة العالم السفلي بأمر من ننورتا حاكم العالم السفلي وبأمر من مردوخ الذي يقيم في اسياكيلا في بابل، وعسى أن تعرف الباب والمزلاج التي بحماية هذين السيدين"⁽⁴²⁾، ويقوم الأشيوب الكهنوتي بمهام أخرى مثل: طقوس غسل الفم لتمثيل الآلهة⁽⁴³⁾، وتقديم قربان إلى الإله، ومن مهامهم الأخرى: المساهمة في الطقوس الخاصة بتطهير المعبد⁽⁴⁴⁾.

- رامكو (Ramku) (المعمد): وهم الذين يتولون شؤون الاغتسال والتطهير⁽⁴⁵⁾ الذي كان يجريه المتعبدون قبل المباشرة بالطقوس الدينية، وكان الموضع الخاص لإجراء الغسل الطقوسي في المعبد يدعى بيت الوضوء أو الغسل (Bit-Rimki)⁽⁴⁶⁾.

- باشيشو (Pashishu) (المدهن): مهمته القيام بالدهان المقدس⁽⁴⁷⁾، ومهمته تشبه وظيفة كهنة الرامكو، ذلك أن الباشيشوم يقوم أيضا بواجبات بالتطهير؛ حيث يقوم بالدهان المقدس بالزيت بعد أن يقوم بالتطهير، والباشيشوم يساهم بطقوس تقديم القرابين إلى الآلهة، تلك الطقوس التي كانت يرافقها العزف على القيتارة، ولذلك كان عليه أن يجيد العزف عليها⁽⁴⁸⁾.

(41) - فراس السواح، دين الإنسان (بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني)، ط1، دار علاء الدين، سوريا، 2002، ص 259.

(42) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 230.

(43) - سامي سعيد الأحمد، "الطب العراقي القديم"، مجلة سومر، مج30، ج1+2، المديرية العامة للآثار، بغداد، 1974، ص 88.

(44) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 230.

(45) - علي فاضل عبد الواحد، المرجع السابق، ص ص 79-81.

(46) - رضا الهاشمي، المرجع السابق، ص 274.

(47) - علي فاضل عبد الواحد، المرجع السابق، ص ص 79-81.

(48) - نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ج1، ص 194-195.

- ماري أو ماني (Mariummani) (المتدرب): مكلفون بتحضير التماثيل، أو المشبهات الأخرى المطلوبة في الأعمال الطقوسية⁽⁴⁹⁾.

- كالو (Kalu) (النادب): وهي طبقة اشتهرت في مجال التراتيل، واختصاصهم البكاء والنحيب يصاحبه الضرب على الدفوف والسنطور والمزامير، حيث يلحنون الترانيم المنشدة لتطمين قلوب الآلهة المتهيجة غضبا بسبب آثام البشر المؤمنين⁽⁵⁰⁾. وكان من اختصاصات هذه الطبقة أيضا ممارسة طقوس التضحية عقب إعلان الفأل، وكان عملهم يتم في سرية نسبية، وكانوا يقومون في حالة الفأل السيئ بتقديم التضحيات اللازمة ليلا لئلا بعد تطهيرها ثم تقديم التضحيات⁽⁵¹⁾.

- نارو (Naru) (المنشد): متخصصين بأناشيد الفرح التي تستقبل أعياد رأس السنة التي شكلت أضخم مناسبة دينية، حيث يقومون بترتيل الصلوات، وتصاحب الإنشاد موسيقى عالية كان صوتها يُقارن بخوار الثور⁽⁵²⁾.

- زاميرو (المنشد): وهم الكهنة الموسيقيون المختصون بآلة المزمارة، والذين يؤدون عزفهم في مناسبات دينية خاصة⁽⁵³⁾.

ب- كهنة الرتب العادية:

ب-1- كاهنات البغاء المقدس:

لم يكن النظام الكهنوتي مقتصرًا على الرجال، فقد شغلت النسوة الكاهنات والموظفات جزءًا مهمًا من هذا السلك وبخاصة في المعابد الكبيرة، ومعلوماتنا عن أصناف الكاهنات وواجباتهن ومراكزهن الاجتماعية أوضح مما هي عليه بالنسبة إلى الكهنة الرجال، والسبب الرئيسي في ذلك يرجع إلى اهتمام قانون حمورابي بهذا الصنف من المجتمع، وخصه بالعديد من المواد القانونية لتثبيت حقوقه ومركزه، ويبدو أن المشرع العراقي القديم سعى لحماية هذه الفئة من نساء المجتمع لما لمراكزهن الدينية من أهمية في المعتقدات، والحياة

(49)- رضا الهاشمي، المرجع السابق، ص 274.

(50)- جان بوتيرو، المرجع السابق، ص 138.

(51)- نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 173.

(52)- عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 98.

(53)- خزعل الماجدي، (متون..)، المرجع السابق، ص 274.

العامة خشية أن يتحولن إلى فئة مسحوقة في المجتمع، وخوفاً من أن ينعكس أثر ذلك على المعتقدات نفسها⁽⁵⁴⁾.

ب-2 ناديتو (Naditu) (الراهبة): هذا النوع من الكاهنات يأتي بعد مرتبة كاهنات الاينتوم، واسم الناديتوم يكتب بالعلامة المسمارية التي تلفظ سومريا (لوكور) (Luker)، والتي تتألف أصلاً من علامتين: الأولى تدل على المرأة، والثانية تدل على القوى الإلهية، واختيار هذا النوع من الكاهنات لا يتم عن طريق استخارة الفأل وإنما عن طريق نذرهن إلى المعبد منذ الولادة، والمعلومات المتوفرة تؤكد أنهن جميعاً بنات لكبار موظفي الدولة، ونفس هذه المعلومات تؤكد على تمتعهن بحق الزواج ولكن بشرط عدم الإنجاب، ولهذا السبب كانت الناديتوم تهدي زوجها امرأة من وسط ديني تدعى شوكويتيم لتقوم مقامها بعملية إنجاب الأطفال، ويكون الأطفال أبناء الناديتوم، وحسب المادة 180 من قانون حمورابي، وموقعه داخل المعبد الرئيس للمدينة- بمثابة الدير-، والمشرف على هذا الدير كاهن يدعى (شانكوم)، ولبعض كاهنات الناديتوم حق العيش خارج هذا المكان، ولكن لا يحق لهن القيام بالأعمال غير المسموح بها وإلا فإن عقوبتهن الحرق بالنار⁽⁵⁵⁾.

ب-3 شوكويتيم (Shugetum) (الأخت العلمانية): وقد ورد ذكرها في قانون حمورابي في عدة فقرات، ففي المادة 145 إشارة إلى أن زوج الناديتوم يحق له الزوج من شوكويتيم في حالة عدم تزويده بالأولاد من زوجته الناديتوم⁽⁵⁶⁾، ومن واجباتها الدينية المساهمة في مراسيم الزواج المقدس وبخاصة مرافقة العروس ليلة الزفاف⁽⁵⁷⁾.

ب-4 قاديشو (Quadishtu) (المقدسة): وبالسومرية نوكت (Nu-Gig) أي الخالية من الأمراض، وترجمها بعض الباحثين ببغية المعبد⁽⁵⁸⁾، وللقادشتو الحق في الزواج وإنجاب الأطفال، وكثيراً ما تشير النصوص إلى أنها تعمل كمرضعة وإلى أنها استعملت كلقب للآلهة

(54)- رضا الهاشمي، المرجع السابق، ص 275-276.

(55)- نخبة من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ج 1، ص 192.

(56)- رضا الهاشمي، المرجع السابق، ص 289.

(57)- أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 238.

(58)- خزعل الماجدي، (متون..)، المرجع السابق، ص 276.

عشتار، ولفظت اشتاريتوم، والقادشتو تعمل في خدمة القصر والمعبد في آن واحد ولذلك فهي لا تعتمد في عيشها على المعبد⁽⁵⁹⁾.

ب-5- كلماشيتو (Kulmshitu) (المنذورة): شغل هذه الوظيفة نساء من الأسر الكبيرة، وكان لهذا النوع من الكهانة الحق في الزواج وإنجاب الأطفال، وكان لا يفرض عليهن السكن في الدير، وكان لهن حرية اختيار السكن، وبالإضافة إلى ذلك شغلت النساء وظائف الغناء والعزف، فلقد عملت حفيدة نارام سين بالعزف على القيتارة للإله سين، ويشير ذلك من ناحية أخرى إلى أن بنات عظماء النبلاء لم يكن يحتقرن الوظائف الدنيا في العبادة المقدسة⁽⁶⁰⁾.

ب-6- سال زكروم (Sal-Zikrum) (حاجبة): وتسمى أيضا خنثى المعبد، وورد ذكر هذا الصنف من الكاهنات في المواد التالية من قانون حمورابي (178-180، 187، 192-193)، ولكن ذكرها خارج القانون نادر جدا، وكلمة سال زكروم تعني المرأة الرجل، ولا يعرف مرادفها الأكدي، وعلى الأغلب أنها كانت أصلا امرأة تتقنع بزي رجل أو أنها حولت بطريقة ما إلى شخص فاقد الهوية الجنسية، وكانت تسكن الدير طيلة حياتها، كما أن القانون منحها امتيازات خاصة عند التبني، وربما كانت مهمتها إدارية مسؤولة عن قسم حريم المعبد⁽⁶¹⁾.

ب-7- الكهنة العاديون: وهم الصنف العادي أو التقليدي من رجال الدين، والذين لا يمتلكون خصوصية كهنوتية مميزة، ونجد منهم نوعين:

- سابنغو: أي عامة الكهنة.

- أربي بيتي: أي الداخلون إلى المعبد أو الذين لهم الحق في الدخول على المعبد بشكل دائم، وكأنهم أهل البيت⁽⁶²⁾.

ب-8- الكهنة الخصيان: وهم الكهنة المنذرون إلى المعبد، والذين لا يحق لهم الزواج وهما الأسينو (Assinnu) والكوركارو (Kurgarru)⁽⁶³⁾، اللذين يمثلان أحط المراتب والوظائف في

(59) - نخبه من الباحثين العراقيين، المرجع السابق، ج 1، ص 193.

(60) - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 238.

(61) - رضا الهاشمي، المرجع السابق، ص 284-285.

(62) - خزعل الماجدي، (متون..)، المرجع السابق، ص 276.

(63) - نفسه، ص 275.

السلك الكهنوتي، ويرد ذكرهما دائما سوية، وهما من الأشخاص الطقوسيين الخاصين بالآلهة عشتار، واللذين يعزفان على الناي على جانبي عشتار، وكنا يلبسان ثيابا مميزة، وربما ملابس نسائية أثناء قيامهما بالأعمال الطقوسية، ومعلوماتنا عن كونهما مخصيين غير أكيدة، والآلهة عشتار هي المسؤولة عن تغيير صورة جهازهما المخصب الذكري إلى أنثوي⁽⁶⁴⁾.

خاتمة

- أن الدين ظاهرة قديمة قدم وجود الإنسان نفسه، فقد احتل الدين موقعا محوريا في حياة الشعوب القديمة، مشكلا بذلك مصدرا مهما لدراسة مسيرة حياتها وطبيعة نموها ومن ثم سقوط حضاراتها.

-المعتقدات الدينية ترسم الخطوط العريضة لأفكار وممارسات وسلوكيات الإنسان، قيمه ومزاجه، عاداته وأعرافه وتقاليده وقوانينه.

- أدى الدين في العراق القديم دورا مهما في المجتمع وبرز في كل وجه من أوجه الحياة العامة، وتمتع الكهنة بمكانة مرموقة وتأثير كبير. وقد اجتهد العراقيون القدماء لارضاء آلهتهم بتقديم القرابين والمساهمة في المناسبات الدينية وأداء الصلوات وزيارة المعابد وطاعة الكهنة.

-كان النظام الكهنوتي في بلاد الرافدين مقدسما بين الرجال والنساء ولم يكن حكرًا على جنس معين دون غيره.

-عرف المعبد وجود العديد من طبقات الكهنة لكل وظيفته وأهميته، منهم من يسهر على خدمة المعبد وتقديم القرابين، والكتابة والمنجمون، والعازفون والمنشدون، والعرافون والمعالجون، ويأتي على رأس هذا النظام الكاهن الأكبر.

-كان عدد الكهنة في المعبد يعتمد على أهمية المدينة وموقعها السياسي والاقتصادي والديني، كما كان العدد يختلف من معبد إلى آخر استنادا إلى أهمية الإله، فقد ورد ذكر 836 شخصا في خدمة المعبد، كما كان عدد العاملين في معبد مردوخ في بابل يبلغ عدة آلاف.

- عبد العراقيون عددا كبيرا من الآلهة تتباين عن بعضها البعض في الأهمية وأحيانا بالقدم، وعلى الرغم من غياب المعلومات الكافية عن أصول ديانتهم فإن المعبودات نفسها توضح بأنها قد مرت بمراحل الحيوية قبل تكاملها في العصر السومري، وكانت كل موجة بشرية تدخل العراق تتبنى المعبودات المحلية إلى جانب آلهتها الخاصة.

(64)- رضا الهاشمي، المرجع السابق، ص 275.

المراجع:

- (1) - أحمد أمين سليم، دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم -العراق، إيران-، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.
- (2) - نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج1، دار الحرية، بغداد، 1985، ص 190.
- (3) - رضا الهاشمي، النظام الكهنوتي في العراق القديم، مجلة كلية الآداب العراقية، العدد 14، 1970-1971.
- (4) - فراس السواح، دين الإنسان (بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني)، ط1، دار علاء الدين، سوريا، 2002.
- (5) - سامي سعيد الأحمد، "الطب العراقي القديم"، مجلة سومر، مج30، ج1+2، المديرية العامة للآثار، بغداد، 1974.
- (6) - خزعل الماجدي، ميثولوجيا الخلود، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2002.
- (7) - خزعل الماجدي، بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين)، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، 1998.
- (8) - نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم-حضارات الشرق القديم-، ج6، دار المعارف، لبنان، 1967.
- (9) - سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، دار المنشورات الثقافية، العراق، 1988.
- (10) - علي فاضل عبد الواحد، من سومر إلى التوراة، ط2، سينا للنشر، مصر، 1996.
- (11) - ثروت عكاشة، الفن العراقي -سومر وبابل وأشور-، مطبعة فينيقيا، بيروت، (د.ت).
- (12) - عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين -ميزوبوتاميا- دار الثقافة، دمشق، 2004.
- (13) - جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، تر: وليد الجادر، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 2005، ص 139.
- (14) - **De Babylonie Et D'Assyrie**, 2eme ed, PUF, Edouard Dhorme, **Les Religions**, paris, 1949.